أنور شاؤل

مذكرات صبي شاغ احذية

اسلوب مبتكر في نقد بعض المعايب الاجتماعية

نشرت متسلسلة في مجلة الحاصد الأسبوعية
في أعدادها 12 – 31 من سنتها السادسة
(16 تموز – 26 تشرين الثاني 1936)

(حقوق إعادة النشر بأية صورة كانت محفوظة لعائلة الكاتب)

الاستعداد للحفلة الراقصة

مذكراتي اليوم اشبه بفلم سينمائي ! أعرض فيه حادثة تضمنت رغم تفاهتها، الشيء الكثير من النباهة والبلادة ، الظرف والسخف .. هي حادثة الليلة الراقصة .. وهل جاءك نبأ تلك الليلة السحرية التي استعدت لها عائلة (٠٠٠٠) قبل عشرة ايام من موعد اقامتها .. فقد اذاعت الصحف خبر هذه الحفلة الفريدة التي ستقام في نايكرس بالاس ليلة رأس السنة لنفقة احدى الجمعيات المعروفة. ولقد بيعت بطاقات عائلية تسمح لحاملها ان يصحب معه سيدة او أكثر ... وقد شاع ان الحفلة ستكون على جانب عظيم من الروعة ...

واذا بي اسمع لغطاً غير اعتيادي كلما قمت بزيارتي اليومية للعائلة . كنت اسمع كلمة « دانص » تتردد على الافواه ، تارة بشوق ، وطوراً بغضب ، واخرى بتلهف واحياناً باشمئزاز .. «دانص .. دانص» الا ان موعد الحفلة قد قرب ... فقد وجب ان تشتري الفتيات الثلاث ـ واكبرهن لا تتجاوز الرابعة والعشرين ـ احذية شهرة جديدة ... اما الفتيان وكذلك كانوا ثلاثة ـ انها صدفة جميلة ان يكون لعائلة ثلاثة اولاد وثلاث بنات اليس كذلك ؟! ـ فقد كانت الاحذية لديهم مبذولة بحيث ان صبغها كان يدر علي دخلاً لا بأس به ...

وعدا شراء الاحذية فقد رأت الكبرى من البنات، انها تفتقر الى قرط جديد لان القديم ما عاد يتناسب ومطالب العصر فلتشتر غيره ولتتكرم به على اختها الوسطى .. فاتحت امها بالامر بادئ بدء وطبيعي انها حصلت على مصادقتها لان توقيع الأم لا يكلف شيئاً ما دامت قوائم الصرف تدفع من جيب « ابي الاولاد .. » وعلى اثر ذلك قامت مشكلات ثلاث، الاولى من الاب الذي ضج صاخباً من هذه المصاريف التي لا طائل تحتها .

ـ ماذا ؟ هل في نيتكم ان تقصموا ظهري ...؟! دائماً صرف .. دائماً صرف .. حقاً لو ان مالنا قد جاءنا عن سبيل الارث او اليانصيب لما كان بخس القيمة بهذا المقدار الا تعس الرقص وتعس الراقصون . . !

والمشكلة الثانية من البنت الوسطى التي استنكفت ان تعتبر بالدرجة الثانية من الاهمية فتعطى قرطاً مستعملاً دالت

موضته بينما هي الاجمل فتنة والاكثر جذباً للانظار !

اما المشكلة الثالثة فهي احتجاج الصغرى على اهمال شأنها في اغلب الظروف كأنما هي من الزوائد التي لا قيمة لها.

ومع ان الاخوان كانوا منهمكين في استعدادهم لليلة الراقصة مكتفين بما تيسر لديهم، فان الاختلاف بين الاخوات الثلاث وبين الابوين كان كافياً لان يقيم الدار بصعقات - ويالها من صعقات - جعلت رؤوس الجيران - صغيرهم وكبيرهم - تبرز في اعلى الجدران تتطلع ..

ودامت المعركة حامية الوطيس حتى اضطر الاب الى الاذعان على اثر تهديد الام بقطع عنقها بسكين اللحم .؟

- ما عدت اطيق الحياة في هذه التعاسة .. أكل هذا من اجل بضعة دنانير (لعلي ارجو ان يعلم القارئ ان السيدة الفاضلة كانت تقصد ببضعة دنانير ما لا يقل عن الخمسين ديناراً) الاحسن ان اموت ..

هنا اضطر الاب الى رفع الراية البيضاء وتسليم سلاحه عندما ابصر المسكين الحادة تلمح بالقرب من عنق زوجته وعندما سمع اولاده يصرخون صرخات وحشية من الذعر والخوف !

فصل الختام

لم يكن هذا المشهد الاول والاخير من مشاهد حكاية الحفلة الراقصة انما تبعته عدة مشاهد اخرى في فترات تتراوح بين الساعة وبين النهار الكامل وقد اختلفت هذه المشاهد بعضها عن بعض شدة وهوادة ، باختلاف المطاليب . وفي وسط هذا الجحيم الصاخب كان علي الا ارفع عيني من مهمتي .. كان علي ان اصبغ واصبغ .. حتى يشع اللمعان من جلد الحذاء !

ولا اود ان اتناسى من هذه « الكوميديا الالهية ! » مشهدها الاخير الذي جرى عرضه قبل ساعتين من موعد الحفلة الراقصة فقد كان الكل - عدا الأب طبعاً - فرحين مسرورين ينتظرون الساعة السعيدة بشوق لا مزيد عليه .

قال الشقيق الاكبر :

- لنرقص الآن القالس على الغرامافون تمريناً لنا.

وقال الكل

- اجل لنرقص القالس !

ودارت الاسطوانة ورقص الاخوان مع اخواتهم . وكانت الام تنظر الى المشهد

مغتبطة تسارق زوجها النظر . وكان الاخير يكظم غيظه ويكبت الهه واذا انتهت الاسطوانة سألت الأم :

- وهل تظنون انكم ستراقصون الليلة غيركم من المحتفلين ؟

فأجاب الابن الاوسط :

- هذا ما تتركه للظروف !

فبادره الاب :

- اخرس ايها اللعين، ليس هناك ظروف تتيح لكم - سيما للبنات - مراقصة الغير .

- عفوك يا والدي ... ماذا يكون الجواب اذا طلب احد الاصدقاء المراقصة ؟

فأجاب الاب بحيرة :

- نعتذر ونكفي!

فقال الابن الاصغر

- نعتذر .. وكيف . . ؟

- اهذا انت ايضاً ايها الوقح ؟

- كفى تهيئنا ايها الوالد !

- ان من حقي ان امنعكم عن الذهاب

- ربما !

- تقول ربما ، اذن الويل لمن يتجاسر ويترك الدار .

وثار ثائر الاب فارغى وازبد وهدد السماء بقبضته فكان نقاش عنيف تبودلت به عبارات قارصة . وارادت الأم ان تتدخل لانهاء المشكلة فكان تدخلها اراقة البنزين على النار . وسارع الاب الى احدى بناته فمزق باقة ثوب سهرتها وزعق بوجهها :

- الى الغرفة والا اخمدت انفاسك!

واستغرقت المعركة اكثر من ساعة نسي الجميع ان صباغاً غريباً عنهم جالس في زاوية الدار يصبغ ويسمع وينظر ومن ثم قبع كل في غرفته ، وظل الاب كالثور الهائج يروح ويغدو في صحن الدار وبين حين وآخر يهجم على بعض الآنية فيقذف بها الى الارض صارخاً :

- الويل ثم الويل لمن يعارضني !

وانسللت من الدار المسلال اللص تحت غسق المساء مودعاً هذه الرواية الفذة لمشاهدة اخرى من روايات الحياة الواقعية.

حاشية :

عندما زرت هذه العائلة في اليوم التالي فهمت ان الابن الاوسط ضاقت به الدنيا للاهانة التي لحقته فحاول الانتحار بتجرع الاسبدفينيك ولكنه عند تذوقه المحلول عدل عن فكرته ورمى بالقنينة الى الشارع فأصابت رأس احد المارين فشجته شجاً ... فبادرت الشرطة الى محل الواقعة . والتحقيقات جارية !